النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/١٢
الأحد ٢٢ آذار
الأحد الثالث من الصوم
أحد الصليب الكريم
تذكار القديس الشهيد في الكهنة
باسيليوس قس كنيسة أنقرة
اللحن السابع
إنجيل السَحَر السابع

الـــرســـالـــة (عبرانيين٤ :١٤-١٦؛ و ٥: ١ -٦)
الإنـــجـــيـــل (مـــــرقـــــس ٨ : ٣٤ – ٣٨ ؛ و ٩ : ١)

الأحد الثالث من الصوم

المسجود للصليب الكريم

لقد رتب الآباء القديسون أن نعيد في الأحد الثالث من الصوم للسجود للصليب الكريم المحيي. في هذا اليوم نبلغ منتصف الصوم المبارك، موسم الجهاد المقدس، فيقف الصليـــب نصب أعيننا مشددا إيماننا لمتابعة هذا الجهاد دون يأس، ومذكرا إيانا بالفرح الـــذي لا بـــد واصلون اليه، وهو الفرح الآتي بآلام ربنا يسوع المسيح التي نلنا بواسطتها الخلاص.

يقول سنكسار هذا اليوم: ''بحيث أننا بواسطة الصيام الأربعيني نحصل ونحن أيضـــا كمصلوبين بإماتتنا عن الآلام، نشعر بمرارة متضجرين ومتراخين، فلذا يقدم الصليب الكريـــم المحيي مريحا ومقويا إيانا ليذكرنا بآلام ربنا يسوع المسيح ويعزينا ويشجعنا بأنه إن كان إلهنا

صلب من أجلنا فبكم من المقدار يجب أن نحتمل ونصنع نحن لأجله ما علينا. ثم ويخفف أتعابنا بإظهاره لنا الأوجاع والأحزان السيدية وتذكار وأمل المجد الناتج بواسطة الصليب... أن الصليب يقال له عود الحياة كما وهو أيضا بالحقيقة، وذاك العود وجد مغروسا في وسط فردوس عدن، فلذلك بغاية اللياقة نصب آباؤنا الالهيون عود الصليب في الأربعين المقدسة ليذكرونا بنهم آدم ثم مع ذلك أيضا ليوضحوا نقض وأبطال ذاك العود بواسطة هذا، لأننا إذا ذقنا من هذا لا نموت أصلا بل نحيا على الدوام''.

من تابع صلوات الأسابيع والآحاد الأولى من الصوم لاحظ النفحة القيامية في التراتيل التي رنمت. واليوم يظهر هذا البعد القيامي أكثر وضوحا لأن الكنيسة وعت أن لا قيامة بدون صليب. فالصليب هو الطريق الى القيامة. والرب يسوع، كما نرتل يوم الفصح، ''حطم الموت بالموت''. نسمع في قانون صلاة سحر هذا الأحد: ''اليوم يوم موسم إذ بقيامة المسيح قد اضمحل الموت ولاح فجر الحياة وآدم نهض مرتكضا بفرح لذلك نهلل مسبحين نشائد الظفر''. و''اليوم نهار السجود للصليب الكريم، فهلم نحوه كافة لأنه يقدم الآن إشراق فجر قيامة المسيح، فلنصافحه مبتهجين نفسانيا''.

لا تفصل الأرثوذكسية بين موت المسيح وقيامته: فالصليب هو الذي جلب الحياة الجديدة، ولم يكن الحصول على الحياة الجديدة ممكنا بدون موت. لذلك لا تركز تراتيل اليوم بشكل قوي على آلام المسيح، بل على الحياة الجديدة والتجديد الذي منحه موت المسيح لنا ولكل الخليقة. الصليب هو معطي الحياة لأن الذي مات عليه هو نفسه الخالق ومصدر كل حياة. الصليب هو علامة النصر، إنتصار الله على الخطيئة والموت، وهو مفتاح الفردوس المفقود . نرتل في صلاة الغروب: ''إفرح أيها الصليب الحامل الحياة، نصر العبادة الحسنة الذي لا يغلب، باب الفردوس ، ثبات المؤمنين، سرور الكنيسة الذي به اضمحلت اللعنة وبادت وانبلعت قوة الموت وارتفعنا من الأرض الى السموات، أيها السلاح الذي لا يقاوم، معاند الشياطين، مجد الشهداء وزينة الأبرار بالحقيقة، ميناء الخلاص المانح العالم الرحمة العظمى''.

نذكر أخيرا، أن زياحا يقام هذا الأحد ككل عام، وفي جميع الكنائس، لتكريم الصليب والسجود له. فيوضع الصليب الكريم في صينية مزدانة بالزهور والعطور، يحملها الكاهن في زياح مهيب ويضعها على طاولة في وسط الكنيسة، وسط جماعة المؤمنين، ويسجد الجميع للصليب بينما ترتل الجوقة: ''لصليبك يا سيدنا نسجد ولقيامتك المقدسة نمجد''. ويبقى الصليب موضوعا وسط الكنيسة طيلة هذا الأسبوع الذي يتوسط فترة الصيام، ونسجد له كلما دخلنا الكنيسة.

صلاتنا في هذا الموسم المبارك ان يُزرع الصليب في قلوبنا وتنطبع علامته في نفوسنا وحياتنا ولا يبقى فقط صليباً معلقاً بسلاسل حول أعناقنا أو في آذاننا للزينة والتبرج. فبقوة صليبك أيها المسيح إرحمنا وخلّصنا، آمين.

الصلاة في الحياة المسيحية

الصلاة في المزامير:

يشكل كتاب المزامير للنبي والملك داوود قمة الصلاة البشرية في العهد القديم لما يحتويه من نفحة مسيانيّة تطبعه. انه كتاب التسبيح والتوبة. وهو يدمج بين الصلاة الفردية وصلاة الجماعة، شعب الله. إن المزامير وإن انطلقت من أرض الميعاد فإنها تبلغ أبعاداً كونية لأنها تستعيد تاريخ الخلاص منذ السقوط مروراً بإعداد شعب الله لقبول الخلاص وارتقاباً لحضور المسيح.

تحكي المزامير عمل الله في الخلق واستجابة الإنسان لسر الفداء. وهي مسيانية لأن المسيح في شخصه وعلى الصليب يجسد فعل الخلق وعمل الفداء.

إضافة الى عمقها الروحي تشكل المزامير مضمونا لاهوتيا أساسيا يعلمنا الصلاة الحقيقية. هي منبع الصلوات والتضرعات قدمها داود بنغم موزون على آلات الموسيقى . وقد رتبت الكنيسة منذ العصر الرسولي تلاوة المزامير في أوقات النهار والليل وهي لا تخلو من التضرعات الحزينة، وبالرغم من ذلك اعتبرتها الكنيسة تسابيح. فالصلاة دعيت تسبحة مع انها هنا تذكار لصلب الرب وموته على الصليب. والأصل في ذلك ان داوود النبي الذي اخذت عنه الكنيسة صلواتها كانت صلواته عبارة عن تسبيح ونشيد : ''سبع مرات في النهار سبحتك'' (مز ١١٩).

الواقع ان التسبيح هو الذي يعطي الصلاة الصفة الرسمية كخدمة تقدم الله، لذلك فكلمة ''الليتورجيا'' من العسير انطباقها على مجرد الصلاة الصامتة التي لا يرافقها حمد وتسبيح. وهذه الحقيقة تزداد وضوحا اذا علمنا ان كلمة تسبيح لا تعني حالة السرور فقط ، بل تشمل الشكر والحمد لله حتى ولو كان الإنسان في أشد حالات الحزن والغم واليأس، بل ان التسبيح والشكر في مثل هذه الحالات يرفع الصلاة الى مستوى الطاعة والخضوع، فتصير تمجيدا لله واعترافا بحكمة تدبيره. أليس بهذا الوصف تماما انطلق بولس وسيلا في ظلام السجن ''ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما'' (أ ع ١٦: ٢٥).

يتطلب الترنيم بالمزامير من الإنسان ان يركز على معناها وينحصر فيه بكل كيانه. يقول القديس اسحق السرياني : ''عوِّد ذاتك وأغصب نفسك لجمع الفكر في خدمة المزامير وبالأكثر في الليل، ليأخذ عقلك إحساس الروح وفرحه المكنوز في المزامير، فإذا تذوقت هذه النعمة فلن تشبع من المزامير.

إن كانت المزامير أعدت لترتل في الهيكل (ضمن الجماعة المصلية) وهي تتلى الآن خلال كل الصلوات الليتورجية ، لأنها صلاة الجماعة بامتياز ، إلا أنها أيضا تنغرس في كيان كل فرد لتجعله كائنا مسبحا. مع المحافظة على نمط الشكر والتسبيح تتناول هذه المزامير حالات بشرية متنوعة لتشكل ''الصلاة'' الأولى والأبعد مدى على الصعيد الفردي. كما وأنها

وان تكن ممثلة لحوادث عبرت في التاريخ، الا أنها لم تزل مفيدة لكل زمان وعصر لأنها تحكي برصانه وبساطة حقائق النفس البشرية أمس واليوم وغدا ، انها تشدد النفس في وقت التجربة وتعضد من كان ضعيفا في المحبة ، لأنها تؤكد حقيقة المحبة الإلهية للصارخين هللويا .

إن المسيح لم يبطل الناموس بمجيئه بل كمله ، ذلك ان العهد الجديد لم يقم على انقاض العهد القديم بل كتتويج لمسيرة شعب الله الخلاصية. لذلك فالمزامير وان كانت من العهد القديم الا انها تتكلم عن المسيح مبشرة بعمله الخلاصي ''انه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير'' (لوقا ٢٤: ٤٤). حتى ان يسوع المسيح يستعمل في أحاديثه أقوالا من المزامير''تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم'' (لوقا ١٣: ٢٧) ''أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحا ''(متى ٢١: ١٦) . كما يظهرها معلنة ألوهيته ''أما قرأتم قط في الكتب . الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا'' (متى٢١: ٤٢) .

إن المزامير كصلاة تتوجه الى الله الواحد نفسه في العهدين القديم والجديد لأنه هو الخالق وهو المخلص والديان العادل. والشعب هو نفسه شعب الله في العهدين القديم والجديد. فإن الله في العهد الأول اختاره وفي الثاني اقتناه بدمه.

تمثل غالبية آيات المزامير صرخات إيمانية مليئة بالرجاء. ومع ان بعض المقاطع قد مر عليها الزمن (كالدعاء الى تحقيق الوعد او إعادة الملك الى إسرائيل وغيرها) ، إذ صار تحقيق ذلك بمجيء المسيح وإقامته العهد الجديد وتأسيس الكنيسة ، إلا ان عالمنا المليء بالخطيئة والشر يجعل من المزامير صلاة تبعد عن نفوسنا ''الطمأنينة الفريسية'' وتحثنا على الجهاد ، لتحقيق الملكوت.

تذهل بعض المزامير في واقعيتها وبساطتها لأنها صالحة لأن تكون صـــلاة الحكيـــم والجاهل، الغني والفقير ، المثقف أو غير المتعلم ، ذلك انها تحكي وحدة الحقيقة الإلهية في الكلمة الذي صار جسداً . عندما يفعم القلب بحركة الروح تـــنـــفك عقـــدة اللســـان فينطبـــق الإنسان بنغمات تعبر عن أعماق نفسه أشد مما تعبر عنها الكلمات . ويقول القديـــس يوحنـــا كرونشتادت:

''حينما نقرأ أي صلاة أو مزمور لأول مرة نقرأه بإقبال وسرور وبشعور متأثر مـــن المعاني العميقة التي تصادفنا. ولكن بتكرار قراءته يقل هذا الشعور حتى ينعدم فنفقد تعزيتنا الأولى وفرحتنا بالتلاوة وتصبح الصلاة آلية باردة.

لذلك وجب مراعاة الآتي:

١ – استحضر ذهنك قبل البدء في الصلاة كأنك ستتلو مزاميرك لأول مرة متذكـــراً قيمة التعزية التي تمتعت بها من هذه الصلوات في بدء معرفتك لها.

٢ – حاول ان تخرج من كل آية معنى جديداً، واثقاً ان هذه الكلمات تحمل لك رسالة جديدة كل يوم.،،

المزامير تعزية لمكسوري القلوب ، مساعِدة على التوبة واتضاع القـــــلب، مليئـــة بالرجاء، مبلسمة للألم، مهدئة للنفوس، نار ملتهبة في برد البرية الموحشة، ماء عـــذب فـــي صحراء التيه، لحن ملوكي، رفيق مَن حج الى دروب البر، مرآة عجائب الله وحسن صنيعـــه مع شعبه ، وعد حقيقي بالخلاص.

(يتبع)

من أقوال الآباء

قال لنا أب كان يأكل مرتين في الأسبوع: لا أستطيع أن أحفظ قانون صومي المعتـــاد إذ تكلمت مع أحد بل اضطر لكسره، ففهمنا من ذلك أن حفظ اللسان لا يرفع الذهن نحـــو الله وحسب بل انه يعطي قوة عظيمة أيضا لإتمام الأعمال الظاهرة التي تصير بواسطة الجســـد، وينير الذهن في أعماله الخفية كما يقول الآباء، لأن حفظ الفم إذا مارسه أحد بمعرفـــة يرفـــع الضمير كثيرا على سهر الليالي. وقال إذا قضيت ليلة بكاملها واقفا حتى الصباح فإنني بعد أن أستريح من الترتيل وأنهض من النوم أكون في النهار التالي مثل إنسان ليس من هذا العالم فلا تخطر على بالي أي أفكار أرضية ولا أعود بحاجة الى إتمام القوانين المحددة، بل أصير في انخطاف طوال النهار.

ثم أضاف: بعد أربعة أيام من الصيام لم أذق خلالها شيئا حضرت الطعام، وقبـــل أن أباشر بتناوله نهضت لأصلي صلاة المساء في ساحة القلاية، وكانت الشمس ما تزال عاليـــة،

فبدأت بتسبيحة واحدة ثم أخذت بالصلاة ولبثت على تلك الحالة لا أعلم ما جرى لي الـــى أن أشرقت الشمس في النهار التالي وأحسست بحرارتها تلفح وجهي وتحرقه فعاد الـــي فكـــري وعلمت أنني في نهار آخر. فشكرت الله على نعمته التي يدفقها على الناس بغـــزارة وعلـــى العظمة التي يؤهل لها الذين يبتغونه. فله المجد وحده والجلال الى دهر الداهرين، آمين.

القديس إسحق السرياني

تـــأمل

كل عام قام به المسيح كان مدعاة فخر للكنيسة الجامعة؛ وأعظم المفاخر كلـــها كـــان الصليب. وإذ عرف بولس ذلك قال: ''أما أنا فمعاذ الله أن أفتخر إلا بصليب ربنـــا يســـوع المسيح'' (غلا ٦: ١٤). من العجيب أن المولود أعمى يرى النور في سلوام. ولكن ماذا يهم ذلك عميان العالم أجمع؟ إنه لأمر عظيم وخارق للطبيعة أن يقوم لعازار من الموت في اليوم الرابع ، ولكنه حظي بالنعمة وحده، فلماذا يهم ذلك الذين ماتوا بخطاياهم في العالم أجمع؟ إنه لمعجزة أن يتغذى خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة، ولكن ماذا يهم ذلك الذيـــن يتضـــورون جوعا في العالم أجمع؟ وعجيب أن تحل امرأة كان قد ربطها الشيطان منذ ثماني عشرة سنة، ولكن ماذا يهمنا ذلك نحن جميعا المرتبطين بسلاسل الخطايا؟ إن تاج الصليب هو الذي أضاء الذين كان يعميهم الجهل، وحرر الذين كانوا أسرى الخطيئة، وأفتدى البشر أجمعين...

...فلا نخجلن من صليب المخلص، بل لنفتخر به. لأن عقيدة الصليب ''عثار لليهود وحماقة للوثنيين'' (١ كور ١: ١٨، ٢٣)؛ وأما لنا فهي سبيل الخلاص (كو ١: ٢٠). انـــها حماقة للهالكين وأما عندنا نحن المخلصين فهي قدرة الله (١ كور ١؛ ١٨،٢٤)، لأن الذي مات لأجلنا لم يكن مجرد إنسان، كما قلنا، بل الله، إبن الله المتجسد. إن كان الحمل، فـــي زمـــن موسى، يبعد المهلك (خر ١٢: ٢٣)، فكم بالحري حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم (يـــو ١: ٢٩)، ألا يحررنا من خطايانا؟ إن كان دم الحمل غير الناطق يأتي بالخلاص، فكم بـــالحري دم الإبن الوحيد ألا يخلصنا؟ (١ بطرس ١: ١٨ – ١٩). إن كان أحـــد لا يؤمـــن بقـــدرة المصلوب ، فـــليسأل الشياطين، وان كان لا يؤمن بالأقوال، فليثق بالأفعال الظاهرة. كثيرون هم الذي صلبوا في العالم، ولكن الشياطين لم يفزعوا منهم، إنهم فزعوا مـــن المســـيح الـــذي صلب لأجلنا، وكانت رؤية صليبه وحدها ترهبهم. مات هؤلاء ليكفروا عن ذنوبهم، أما هو فمات ليكفر عن خطايا الآخرين (يو ٣: ١٦ – ١٧). ''إنه لم يخطئ ولم يعرف المكر فوه'' (١ بطرس ٢: ٢٢). لم يكن بطرس هو الذي نطق بهذه العبارة حتى يمكن إتهامه بـــالتملق لمعلمه، بل إشعياء الذي قالها: ''إنه لم يصنع جورا ولم يوجد في فمه مكر'' (أشعيـــاء ٥٣: ٩). هو الذي لم يكن حاضرا جسديا، ولكنه تنبأ في الروح بمجيء المخلص بالجسد. ولماذا

لا آتي هنا إلا بشهادة النبي وحده؟ إليك شهادة بيلاطس نفسه الذي حكم عليه، إذ قال: ''إني لا أجد ما يجرم هذا الرجل'' (لو ٢٣: ٤). وعندما أسلمه، غسل يديه قائلا: ''أنا بريء من دم هذا الصديق'' (متى ٢٧: ٢٤). وهناك شهادة أخرى عن براءة يسوع هي شهادة اللص، أول الداخلين الفردوس، عندما انتهر زميله قائلا: ''أما نحن فعقابنا عدل لأننا نلقى ما تستوجبه أعمالنا، ''أما هو فلم يعمل سوءا'' (٢٣: ٤١)، لأننا كنا، أنا وأنت حاضرين اثناء المحاكمة .

فالحق إذا أن يسوع تألم لأجل جميع البشر. فالصليب لم يكن في الظاهر، وإلا لكان فداؤنا وهميا؛ والموت لم يكن خياليا، وإلا لكان خلاصنا صوريا. فلو كان الموت شكليا، لكان على حق اولئك الذين قالوا ''تذكرنا أن ذاك المضلل قال إذ كان حيا: سأقوم بعد ثلاثة أيام'' (متى ٢٧: ٦٣). لقد كان موته إذا حقيقيا؛ لقد صلب حقا، ونحن لا نخجل من ذلك. نحن لا ننكر أنه صلب؛ وأنا بالحري أفتخر أن أقول ذلك ؛ وحتى إن أنكرت هذا الحدث الآن، فإني أجد ما يقنعني على هذه الجلجلة حيث نحن الآن مجتمعون. وتقنعني أيضا خشبة الصليب التي وزعت قطعا صغيرة في جميع أنحاء العالم. إني أعترف بالصليب لأني أؤمن بالقيامة. لأنه لو لم يقم المصلوب، لما كنت أعترفت بالصليب، بل كنت أخفيته مع سيدي. ولكن بما ان القيامة أتت بعد الصليب، فأنا لا أخجل من الإجهار بذلك.

القديس كيرللس الاورشليمي

(٣١٤ – ٣٨٧)